# الرقي النبوي في بسط منظومة القيم التربوية

الباحثة نوزهة أحبار
طالبة باحثة في سلك الدكتوراه
تحت إشراف: الدكتور نبيل الغماري
جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء
كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق
المغرب

**الكلمات المفتاح:** المنظومة، القيم، التربية النبوية.

**المنظومة:** اسم مفعول من فعل نظم، "جاء في مقاييس اللغة لابن فارس أن النون والظاء والميم أصل يدل على تأليف شيء وتأليفه، ونظمت الخرز نظما، ونظمت الشعر وغيره، والنظام الخيط يجمع الخرز (...) منظومان من أصل الذنب إلى الأذن (...) وجاءنا نظم من جراد أي كثير.[1]

أما المعنى الاصطلاحي غير بعيد عن المعنى اللغوي وهو تجمع مجموعة الأجزاء والعناصر المترابطة لعناصر أو وحدات تتجدد في شكل أو آخر من أشكال التفاعل المنظم أو الاعتماد المتبادل تعمل معا ككل نحو تحقيق هدف أو غرض محدد.[2]

**القيم:** هي مجموعة من القوانين والمقاييس تنبثق من جماعة ما وتتخذها معايير للحكم على الأفعال والتصرفات وتكون لها من القوة و التأثيرفي الجماعة بحيث يصبح لها صفة الإلزام والعمومية، و أي خروج عليها أو الانحراف عن اتجاهها يعد خروجا عن مبادئ هذه الجماعة ومثلها العليا.[3]

**التربية:** جاء لفظ التربية في مقاييس اللغة على أنه (ربى)الراء والباء والحرف المعتل وكذلك المهموز منه يدل على أصل واحد وهو الزيادة والنماء والغلو. تقول من ذلك: ربا الشيء يربو، إذا زاد وربا الرابية يربوها إذا علاها، وربا أصابه الربو، والربو علو النفس.[4]

التربية اصلاحا: عرفها الدكتور الدخيل بقوله: "التربية عناية أومجهود أو نشاط تؤثر في سلوك الإنسان أو تكوينه أيا كان مصدر هذه العملية، سواء أكان نفسه أم البيئة الطبيعية، أم المجتمع الذي تعيش فيه، فالإنسان خاضع باستمرار لعمليات تفسير في تكوينه الجسمي والعقلي والخلقي والنفسي والاجتماعي، وهذه العمليات هي التربية، فغاية التربية هي مساعدة الإنسان على تنمية ملكاته وقدراته واستعداداته ودوافعه جميعها وتكليفها، وإيجاد التوازن بينها وبين البيئة التي تعيش فيها "[5]

أما التربية في الإسلام تعني بلوغ الكمال بالتدريج، ويقصد بالكمال هنا كمال الجسم والعقل والخلق والدين، لأن الإنسان موضوع التربية لأنه خليفة الله على الأرض وكرمه على كثير من خلقه.[6]

**ملخص البحث:**

إن الله سبحانه وتعالى خلق الكون في منظومة متماسكة، متكاملة و مترابطة يشد بعضها بعضا، ويعتبر الإنسان الرمزية الأساسية فيها، والأداة الفاعلة التي من خلالها يتم الحفاظ على كل جوانبها ليتحقق بذلك معنى خلافة الله في الأرض، وهذا لا يتأتى إلا بصلاح الأفراد في ظل مجتمع مثبت بدعامات أخلاقية، وقيم نبيلة، من أجل هذا جاءت الشريعة الإسلامية لتربي النفوس وتهذب الأهواء وتبين الحقوق والواجبات، فيفرش الحق بساطه ويعين الكبير الصغير، ويشد القوي بعضد الضعيف، فتسود الرحمة والحب وينتشر العدل والوفاء، فترسخ العقيدة الربانية السليمة بعلم وإدراك، وهذه هي القيم التي جاءت الرسالة المحمدية لترسخها في نفوس الآباء قبل الأبناء كي يحصل التدافع في الأرض وتلقن مبادئ التربية النبوية قابلا عن دابر.

God Almighty created the universe as a cohesive, integrated, and interconnected system where each part supports the others. Humanity is seen as the fundamental symbol and effective instrument through which all aspects of this system are preserved, allowing the meaning of God's caliphate on earth to be realized. This can only be achieved through the righteousness of individuals within a society, which is supported by moral foundations and noble values.

For this reason, Islamic law was revealed to educate souls, purify desires, and clarify rights and duties, ensuring that truth prevails, supports the elderly and the young, and strengthens the strong by aiding the weak. Through this, mercy and love dominate, while justice and loyalty spread. The sound divine doctrine is thus established with knowledge and awareness. These are the values that the Muhammadan message aims to instill in the hearts of parents before passing them on to their children, so that the principles of prophetic education are disseminated across the land, one by one.

**تقديم:**

الحمد لله ذي الفضل والإنعام والصلاة والسلام على محمد خير من ربى وعلم وعلى آله وصحبه وسلم.

إن مبدأ التربية ذو منشأ رباني، فالله عز وجل ربى نبيه صلى الله عليه وسلم على الأصول الاعتقادية، التعبدية، التشريعية والأخلاقية، وفطره على حسن الخلق قال عز وجل: **{لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا}**[7]، فقد تكون المناهج التعليمية والطرائق والبرامج التربوية والبيداغوجيات الحديثة التي وضعها علماء الاجتماع، وعلماء النفس التربوي، والتي تفرضها الدول ويفعلها عدد من المعلمين والمربين تؤتي ثمارها إذا ما تلقى الطفل مبادئ التربية في محضنه الأول وهو الأسرة التي يجب أن تكون سوية اجتماعيا ونفسيا في كل أحوالها، أما ما دون ذلك فالخلل في التربية وارد لامحالة، يقول في ذلك إميل دوركهايم[8]: "وتتباين التربية اليوم أيضا مع تباين الطبقات الاجتماعية ومع تباين المجتمعات الإنسانية، فالتربية التي في المدينة ليست كذلك التي تسود في الريف في إطار الطبقة البورجوازية هي غير تلك التي تسود في أوساط العمال....."[9]

وهذا ليس هو عين الحقيقة دائما، لأن الفقر أو الغنى ليسا معيارين للحكم، وكذلك العيش في المدينة أو القرية، وإنما قد يكون المرء فقيرا ويحرص كل الحرص على تنشئة أبنائه التنشئة السليمة، وقد تتخبطه المشاكل الاجتماعية وتتجاذفه الضغوطات النفسية إلا أنه يجعل أبناءه أو من هم تحت رعايته من الأولويات التي يعلم يقينا أنه سوف يسأله الله تعالى عنهم يوم القيامة، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل الولدين كامل مسؤولية تربية أبنائهم لقوله صلوات ربي وسلامه عليه "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع وهو مؤول عن رعيته المرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[10]

وتعد الأسرة أول مؤسسة تربوية يتلقى فيها الفرد تنشئته الاجتماعية ومحددات شخصيته وهويته التي تلازمه آثارها طيلة حياته، فالطفل يكتسب تجاربه ومهاراته وسلوكياته الأولية من المحيط العائلي حيث ترسم شخصيته وتنحت طباعه، (الأسرة النواة، أو الأسرة الممتدة إن وجدت).

قبل مواجهة كل التيارات التي تهدد أبناءنا من إلحاد، وتشكيك في العقيدة والسنة لابد من إعادة بناء السياج الأهم للأمة وهو الأسرة، وهذا لا يتأتى إلا بالرجوع إلى الهدي النبوي، فالمتأمل لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد أن منهجه في إرساء قواعد التربية وتثبيت أواصر الحب والود بين أفراد الأسرة قد اختصره القرآن الكريم **في قوله تعالى: {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين..}**[11]

فلنعد إلى ما قبل بناء هذه الأسرة وبالضبط إلى مرحلة اختيار كل من الزوجين لبعضهما، فقد قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم حبل الحيرة في ذلك بقوله:" إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ" [12] ذكر صلى الله عليه وسلم خصيصة الخلق بعد التدين لأن الخلق لابد فيه من التحري والتقصي، كي لا نلقي ببناتنا تحت أنياب الفاسق والبخيل والمتكبر...، فالتدين لا يزكيه إلا حسن الخلق.

وحفظا لحق المرأة خاطب صلى الله عليه وسلم الشباب فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ"[13]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فالشاب الذي لا يرى في الزواج إلا تفريغ شهوة أو إصابة وطر دون النظر إلى ما يقوم عليه بيت الزوجية من حقوق وواجبات فهو يصر على ظلم نفسه وظلم أهله ومجتمعه، أما إن استطاع وأقبل وعزم فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى قدم السبق في الخيرية لذات

الدين، لقوله عليه أفضل الصلاة والسلام فيما رواه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: "تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ"[14] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فالإسلام لا ينكر على الرجل حب الجمال أو المال أو الحسب إنما خص ذات الدين بالفضل لأن صلاح الأمة في صلاح نسائها، فاختيار الزوجة هو انتقاء للأم المربية وهذه أول لبنة يضعها الرجل في بناء أعظم صرح إنساني وهو الأسرة.

**ترسيخه صلى الله عليه وسلم لقيمة العقيدة الصحيحة**

حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على غرس مبادئ التربية الإيمانية في نفوس صغار الصحابة رضوان الله عليهم، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: "احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، وإنِ اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفَ"[15]

فهذا الحديث يكفي لترسيخ مبادئ التوحيد في نفس الطفل والارتقاء بها إلى درجة الإحسان، وحثه على الطمع فيما عند الله دون غيره وذلك حفاظا على فطرته الإسلامية السليمة، **يقول الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: "إن الأطفال في العاشرة، يجب أن توضح لهم أدلة الإيمان ومعنى الشهادتين، وما يلزم عنهما، والاستسلام لله وكتابه وسنة رسوله ونصرة دينه، وأداء العبادات وخاصة أركان الإسلام....."**[16]

**مواقفه صلى الله عليه وسلم في تعزيز قيمة العلم**

إن أسمى ما يطلبه الإنسانية بعد معرفة الله عز وجل، وتوحيده والإيمان به هو العلم حتى يعبد الله بصيرة، لهذا كان أول ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو "اقرأ"، فالعلم نور للعقول يضئ غياهب الجهل، وصيانة للنفوس، وصفاء للأذهان، وسمو للأرواح، قال تعالى: قال تعالى: {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات...}[17]، لذا لم يمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما صحابته من مرافقة صغارهم إلى حلقات العلم لأنه يعلم يقينا أن المؤمن لا يحسن به الجهل، و أن هذا الأخير مفتاح كل أذية وشر، وأن ما يتلقاه الإنسان وهو خالي الذهن صغير يتشربه، وينحت في ذاكرته، فصغار اليوم هم من سيحملون مشعل هذه الرسالة غدا، لهذا وجب ترغيبهم في العلم ومجالسة أهله، قال صلى الله عليه وسلم: "...من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه"[18]، ولا يجوز للمسلم أن يخوض فيما ليس له به علم حفظا للحقوق والأعراض، لأن الأصل في الأمور التثبت والتيقن وما خرج عن ذلك فهو في حكم الجهل، والله عز وجل حذرنا من القول بغير علم فيما جاء على لسان سيدنا لقمان عليه السلام: ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا...}[19] فالعلم النافع مطلوب سواء أكان من أمور الدين أو الدنيا، ويحسن الجمع بينهما.

**مواقفه صلى الله عليه وسلم في تعزيز قيمة الرحمة**

لما تفاوتت الأجناس والأعمار، والقدرات الجسدية والعقلية، وجبت الرحمة التي بها يعين القوي الضعيف ويشد الكبير بعضد الصغير، ويتولى الشاب أمر الشيخ العجوز، ويسعى الغني على الأرملة واليتيم والمسكين، قال الله تعالى: **{وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}**[20]، فالقسوة تولد شخصيات هشة لا تقوى على المناقشة وإبداء الرأي، وتكره الخضوع والخنوع لأي سلطة، وقد جاء صلى الله عليه وسلم بقول جامع مانع: "ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه"[21]، فالإنسان اجتماعي بطبعه إلا أنه في تعامله مع من

حوله يكره بفطرته الفظاظة والقسوة، و تميل نفسه البشرية إلى الحسن من الأقوال والأفعال، فالله سبحانه وتعالى أعلم بحال عباده فقد قال جل و علا لنبيّه: **{ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك}**[22]

فعدم الإسراف مطلوب في كل الأحوال إلا فيما يخص الحب والرحمة وجب. الخواطر فجني ثمارها في الإفراط فيها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أتي النبي رجل ومعه صبي، فجعل يضمه إليه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: " أترحمه؟، قال: نعم، قال: " فالله أرحم بك منك به، وهو أرحم الراحمين " [23]، فالرحمة تهذب النفوس وتدربها على الإيثار، وحب الخير للناس ومن كان رحيما بخلق الله كان الله به أرحم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها فأعطتها عائشة ثلاث تمرات، فأعطت كل صبي لها تمرة، وأمسكت لنفسها تمرة، فأكل الصبيان التمرتين، ونظرا إلى أمهما، فعمدت الأم إلى التمرة فشقتها فأعطت كل صبي نصف تمرة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته عائشة، فقال: " وما يعجبك من ذلك ؟ لقد رحمها الله برحمتها صبييها"[24]

قال أنس بن مالك رضي الله عنه:"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال أحسبه فطيما وكان إذا جاء قال يا أبا عمير ما فعل النغير"[25]

بأبي أنت وأمي يا رسول الله كيف وجدت لهذا الصغير وقتا لجبر خاطره حقا: " من يحرم الرفق يحرم الخير كله "كما قال صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم إني أحرج حق الضعيفين المرأة واليتيم "[26] فالضعيف من لا ظهر له ولا سند، فهذا تحذير منه صلى الله عليه وسلم لكل من خولت له نفسه ظلمهما يا ويح من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمه يوم القيامة.

وإذا رحمت فأنت أم أو أب ** هذان في الدنيا هما الرحماء

وإذا غضبت فإنما هي ** غضبة لا ضغن ولا بغضاء

إن الدين الإسلامي بسماحته لا يفصل بين العبادات والمعاملات، فالرفق بحال المريض والعاجز والأم أثناء تأدية الصلاة المفروضة يؤكده فعل النبي عند تجوزه في الصلاة رفقا بحال أم الصبي، فعن أبي قتادة عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم:" إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه "[27]

**مواقفه صلى الله عليه وسلم في تعزيز قيمة الحب**

كان العرب في سالف عهدهم يرون الحب هو حب المرأة فقط، فألفوا فيه أقوالا ونظموا أشعارا وكان الواحد منهم يمنعه كبرياؤه من أن يجعل لأبنائه حظا من هذا الحب أمام الناس، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهذب العواطف ويوجهها الوجهة الصحيحة، فاعتز بحبه للولد وافتخر بحبه للزوجة، وجعل الحب في الله شعار صحابته رضوان الله عليهم.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخده ويقعد الحسن بن علي على فخده الآخر، ثم يضمنا، ثم يقول: " اللهم إني أحبهما فأحبهما "[28].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:" أن الأقرع بن ثابت أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن، فقال: " إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه من لا يرحم لا يرحم "[29] فالرسول صلى الله عليه وسلم بعث في قوم يتفاخرون بالغلظة والشدة وحدة الطباع ويرونها رمزا للشجاعة والقوة والفخر، فدمعة الرجل حزنا أو تقبيله لأبنائه حبا يكسر كبرياءه، لكن دخولهم في هذا الدين الحنيف غير طباعهم ورقق قلوبهم، فالحب خصلة قلبية وجدانية يجليها الاعتراف ويحددها ملامحها الفعل.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:" قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا، أتقبلون صبيانكم؟ فقال: نعم، فقالوا لكنا والله ما نُقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوَ أملك لك أن نزع الله من قلوبك الرحمة؟" [30]

وقد أكدت كل الدراسات الحديثة أن تقبيل الأبناء واحتضانهم والاعتراف لهم بالحب يخلق عندهم توازنا نفسيا، والرسول صلى الله عيه وسلم كان القدوة في ذلك فقد كان يقبل جبين ابنته فاطمة كلما لقيها ويقول عنها:" فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني"[31]

وهذا الاعتراف بالحب لم يجعله صلى الله عليه وسلم مقتصرا على الأبناء فقط بل شمل الزوجة والأصحاب ويؤكد ذلك ما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن أحب الناس إليه فقال عليه الصلاة والسلام: " عائشة فقال من الرجال؟، قال: أبوها، فقال ثم من؟ قال: عمر....."[32]

**مواقفه صلى الله عليه وسلم في تعزيز قيمة العدل:**

وفي مقولة تنسب للإمام ابن تيمية رحمه الله (إن الله يقيم الدولة العادلة ولو كانت كافرة ولا يقيم الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة).

وما الأسرة إلا دويلة صغيرة يقيمها العدل والمساواة بين أفرادها ويسقطها الظلم والجور، ولرسولنا صلى الله عليه وسلم مواقف كثيرة تحث على العدل وتعززه، فعن عامر قال سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه وهو على المنبر يقول: " أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " إني أعطيت ابني من رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، فقال: أعطيت ولدك مثل هذا " قال: لا، قال فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم قال فرجع فرد عطيته " وفي رواية أخرى:" فلا تشهدني فإني لا أشهد على جور"[33]، وقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام يعدل بين نسائه في النفقة ويقسم بينهن المبيت والإيواء، إلا أن حبه لأمنا عائشة ملك قلبه دون سواها، وقد أشار إلى ذلك بقوله:" اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلومني فيما لا أملك "[34]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال من كان له امرأتان، فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل "[35]

فمن عدّد ولم يعدل ينتقل ظلمه بذلك للأولاد، ومن لم يعدل بين الأولاد نشر العداء والضغينة بين أبنائه وأحفاده.

**مواقفه صلى الله عليه وسلم في تعديل السلوك**

السلوك هو كل نشاط يصدر من الشخص قولا أو فعلا، مقبولا كان أو غير مقبول، وقد يحتاج الشخص إلى استبدال سلوكياته غير المرغوب فيها بأخرى تحفظ له احترامه لنفسه ومكانته بين الناس وخير من ذلك ثواب الله عز وجل، وقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم أفضل من علم وأدب وخير من لا يغضب إلا لله، وكان يحظ صحابته على تأديب أولادهم، عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم "[36] عن عمر بن أبي سلمة قال: "كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك "[37] وحسن التأديب إنما يكون بالكلمة الطيبة والفعل الحسن دون كثرة لوم أو عتاب، فالكثرة اللوم تولد النفور وتعلم العناد، عن رافع بن عمرو الغفاري رضي الله عنه قال:" كنت وأنا غلام أرمي نخلنا، أو قال نخل الأنصار فأتى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:" يا غلام لم ترمي النخل؟" قلت: آكل، فقال: لا ترمي النخل وكل مما يسقط..."[38] فعقل الطفل يمكن أن يميز بين الفعل القبيح والفعل الحسن مثله مثل الكبار إلا أن البنى المنطقية لديه غير مكتملة النمو، وقد أشار إلى ذلك الدكتور عبد العالي الجسماني في كتابه علم التربية وسيكولوجية الطفل بقوله: "إن عقل الطفل يعمل وظيفيا كما تعمل عقولنا، وإنه ليبدي نفس الوظائف الخاصة بالتماسك

والتماثل ويكشف عن جوانب التبويب والتفسير والحكم على العلاقات وسوى ذلك، لكن البنى المنطقية المحددة التي تؤدي هذه الوظائف قابلة للنمو والتمايز" كتاب علم التربية وسيكولوجية الطفل للدكتور عبد العالي الجسماني الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1994/1414م

ولا يقتصر ذلك على الطفل المكلف بل لابد من تعديل سلوك غير البالغ حتى يتعود وينشأ على حسن الطباع يقول ابن قيم لجوزية في كتابه تحفة المودود في أحكام المولود: "والصبي وإن يكن مكلفا فوليه مكلف لا يحل له تمكينه من المحرم فإنه يعتاده، ويعسر فطامه عنه (...)ولهذا لا يمكن من الصلاة بغير وضوء ولا من الصلاة غريانا ونجسا، ولا من شرب الخمر والقمار...."[39]، يقول الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان ** على ما كان عوده أبوه

وأمر التقويم لا يقتصر على الأبناء فقط بل قد يتعداه إلى الزوجة أو الزوج إن لزم الأمر ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:" قلت يا رسول الله، إن صفية امرأة، وقالت بيدها هكذا، كأنها تعني قصيرة، فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته (يعني لنجسته)"

فتعديل السلوك لا يجب أن يكون دائما بالزجر والتوبيخ فقد يتأثر المرء فقط بالنصح والكلام الطيب الحسن أو بالاقتداء وحسن المصاحبة.

**مواقفه صلى الله عليه وسلم في تعزيز مبدأ الأولويات**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "" أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم " ومفهوم المخالفة في هذا الحديث شراركم لنسائه، والأهل والولد من بين أولويات المسلم في الانفاق، وقد جعل الشارع السعي في طلب الرزق وتوفير النفقة جهاد في سبيل الله، فعن كعب بن عجزة قال:" مر رسول الله عليه وسلم فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله لوكان هذا في سبيل الله فقال عليه أفضل الصلاة والسلام:" إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله"[40]

وكذلك ما جاء في حديث سعد بن أبي وقاص عندما شاور النبي صلى الله عليه وسلم بشأن الوصية فقال:" لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس"

**مواقفه صلى الله عليه وسلم في تعزيز قيمة الوفاء**

إن الوفاء على الكريم فريضة # واللؤم مقرون بذي الإخلاف

وترى الكريم لمن يعاشر منصفا # وترى اللئيم مجانب الإنصاف

فالطلاق أو الوفاة نهاية عقد وبداية عهد مع الوفاء ومراعاة الفضل، فانفصال الأبوين لا يعني الانسلاخ من مسؤولية الأبوة أو الأمومة، فالواجب في هذه المرحلة هو إلقاء كل أسباب الخلاف جانبا، والإبقاء على ما كان من حسن العشرة من أجل الارتقاء بالأبناء وإيصالهم إلى بر الأمان، وأحسن الوفاء وأكمله هو الوفاء للأموات لأنه لا يرجى من ورائه جزاء ولا يخشى من تركه عقاب، ورسولنا صلوات ربي وسلامه عليه خير من رعى الود وأبقى على العهد وحفظ الغيب.

غارت أمنا عائشة رضي الله عنها من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجه خديجة رضي الله عنها فقالت:" قد أبدلك الله خيرا منها فغضب صلى الله عليه وسلم لذلك وقال: " والله ما أبدلني الله خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد..." [41]

فرغم حبه لعائشة إلا أنه لم ينكر جميل صنائع خديجة رضوان الله عليها، وكذلك يجب أن يكون، سواء انفصل الزوجان بسبب الطلاق أو فقد أحدهما للآخر لأن توتر العلاقة بين الأزواج وتذبذبها قد يكون أدهى وأمر على الأبناء مما يحدثه طلاق الأبوين أو فقد أحدهما، يقول في ذلك الشاعر.....،

**ليس اليتيم من انتهى والداه من هم الحياة وخلافاه ذليلا # إن اليتيم هو الذي تلقى له أما تخلت وأبا مشغولا.**

وقد رغب صلى الله عليه وسلم في الدعاء للوالدين بعد موتهما وفاء لهما بقوله: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[42] فاستمرار ثواب الوالدين في الآخرة بهذا الدعاء من دلائل صلاح الولد ووفائه لحسن تربيتهم له.

**خاتمة**

مسكين ذلك الاب الذي عرف حقوقه ولم يعرف واجباته، ومسكينة تلك الأم التي لا ترى في البر إلا انه رد للجميل، ومسكين ذلك الزوج الذي يرى القوامة صراخا وغلظة وشدة، مسكينة تلك الزوجة التي لا تعرف عن حسن التبعل إلا التجمل والتزين، فالحياة الزوجية تعقد بميثاق غليظ، ورباط متين يشده التكامل والتداخل، والتصبر والتدافع.

إن هذا الموضوع لا تكفينا فيه محابر وأقلام، فمواقفه صلوات ربي وسلامه عليه في التربية عامة وفي التربية الأسرية خاصة لاتعد ولا تحصى، فهو خير من علم وأدب وربى، خير زوج وخير أب وخير صاحب، ربى صحابته على الصدق والاستقامة وحسن الخلق، فخلفوا لنا أجيالا حملت هم هذه الأمة، فكانوا بذلك مشعل الاقتداء، فهذه التربية الربانية توجه الإنسان لما فيه صلاحه وصلاح مجتمعه؛ مجتمع قائم على العدل والرحمة وحفظ الأمانة والعفة....فيصعب بذلك تفكيكه وانحرافه عن الجادة، ويكفينا في ذلك قول ربنا سبحانه: **{لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا}**.[43]

**الهوامش:**

[1] معجم مقاييس اللغة لابن الحسين أحمد بن فارس، مادة "نظم"

[2] المقال: مفهوم المنظومة والنظم الأساسية لها لمها لافي البلوي على موقع Blogger.com بتاريخ: الخميس 13 أكتوبر 2016م.

[3] أصول التربية للدكتور إسماعيل العمراني، دار الكتاب الجامعي صنعاء، الطبعة الثانية 2014/1435م، ص:140

[4] معجم مقاييس اللغة لابن الحسن أحمد بن فارس، ج:2، ص:483

[5] مدخل إلى أصول التربية العامة للدكتور عبد الرحمن فهد الدخيل، ص:12

[6] أصول التربية للدكتور محمد منير مرسي دار نشر عالم الكتب، طبعة 1999م

[7] الأحزاب، الآية:21

8 دوركهايم بالإضافة إلى شهرته الواسعة في مجال علم الاجتماع، واحدا من كبار مفكري التربية الكلاسيكيين في فرنسا، حيث استطاع أن يترك على تاريخ الفكر التربوي الفرني، أنظر كتاب التربية والمجتمع لإميل دوركهايم ترجمة الدكتور علي أسعد وطفة ص:9

9 المرجع نفسه ص:64

[10] رواه ابن عمر وأخرجه البخاري في صحيحه، رقم، 2409، وأخرجه مسلم، رقم: 1829، باختلاف يسير.

[11] آل عمران، الآية: 159

[12] أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث (1084)

[13] أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (1905)

[14] أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (5090)

[15] أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث (2016)، وأحمد في مسنده، رقم الحديث (2669) باختلاف يسير

[16] ابن قيم الجوزية دراسة موضوعية تحليلية تربوية تأليف عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان الطبعة الأولى 1991/1411م

[17] المجادلة، الآية: 11

[18] أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (2699)

[19] الإسراء، الآية:36

[20] الأنبياء، الآية: 107

[21] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث (422) مختصرا

[22] آل عمران، الآية: 159

[23] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث (377)

[24] المصدر نفسه، رقم الحديث (79)

[25] أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (6129)

[26] أخرجه ابن ماجة، رقم الحديث (3278)، وأحمد في مسنده (9664)

[27] أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (707)

[28] المصدر نفسه، رقم الحديث (3747)

[29] أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (2318)، والفظ عند البخاري في صحيحه، رقم الحديث (5997)

[30] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث (67)

[31] أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (3714)

[32] المصدر نفسه، رقم الحديث (3662)

[33] متفق عليه، أخرجه البخاري، رقم الحديث (2650)، وأخرجه مسلم، رقم الحديث (1623)

[34] أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث (1140)، وابن ماجة، رقم الحديث (1971)، واللفظ عند أحمد، رقم الحديث (25111)

[35] المصدر نفسه، رقم الحديث (1141)

[36] أخرجه ابن ماجة، رقم الحديث (3271) باختلاف يسير

[37] أخرجه البخاري، رقم الحديث (5376)

[38] اخرجه أحمد في مسنده، رقم الحديث (20343)

[39] تحفة المودود في الأحكام لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق الأرناؤوط /

[40] الترغيب والترهيب للأصبهاني، ج:3، ص:107

[41] سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، ج:3، ص:117

[42] أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (1631)

[43] الأحزاب، الآية:21